

مجالس فتيان الإسلام (المجموعة الثالثة) ٣

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

غزوة الأحزاب

بقلم
سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٣)

غزوة الأحزاب

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت : ٨٤٢٨١٤٦
ص ب : ٢٩٨٢ - الرمز البريدي : ٣١٤٦١ - فاكس : ٨٤١٢١٠٠
الإحساء : الهفوف - شارع الجامعة - ت : ٥٨٢٣١٢٢
جدة - ت : ٦٨٠٥٤٩٣ - ٦٥١٦٥٤٩٢
الرياض - ت : ٤٢٦٦٣٣٩

مجالس فتيان الإسلام

المجموعة الثالثة

مغازي رسول الله ﷺ الكبرى

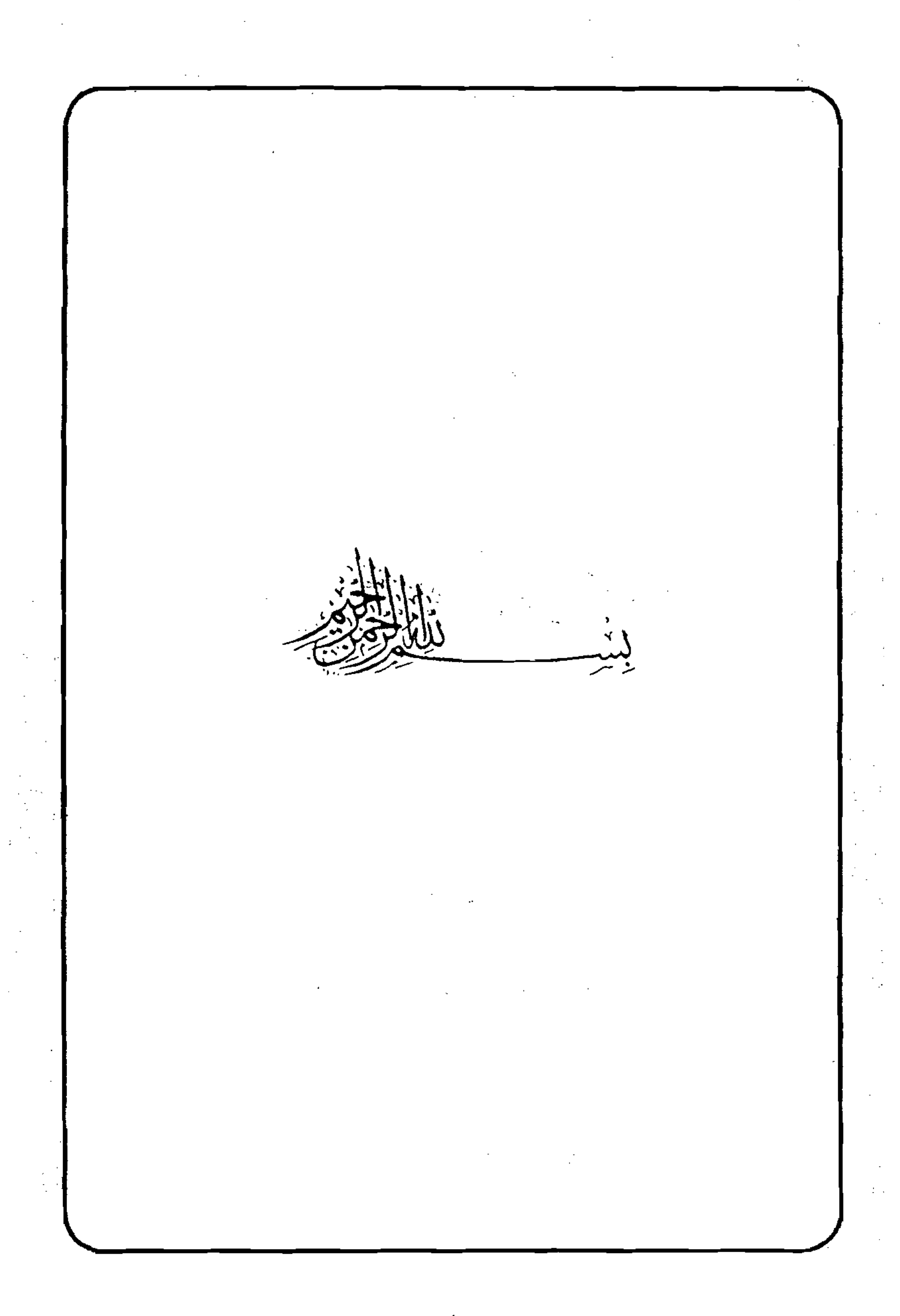
(٣)

غزوة الأحزاب

بقلم

سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

مكر يهودي

اعلموا أيُّها الأبناءُ السُّعَداءُ: أن اليَهودَ ـ لَعَنَهم اللّهُ ـ يَكرَهونَ رَسولَ اللّهِ مُحَمَّداً ﷺ وأصحابَه رضي اللّه عَنْهم أَشَدَّ الكَراهِيَةِ حَسَداً من عِند أنفُسِهم، ولذلك دَبَّر بعضُهم اغتيالَه، وحاول آخرون انتهاكَ أَعراضِ المُسلمين، وَنَقَضَ آخرون عَهدَهم وميثاقَهم مع رسولِ اللّه ﷺ... فقام رسولُ اللّهِ ﷺ بإجلاءِ يهودِ بني النَّضيرِ عن دورِهم وأراضِيهم في المَدينَة النَّبويةِ جَزاءً وِفاقاً على غَدْرِهم وَخِيانَتِهم كما أخبَرَ اللّهُ تَعالى في سورَةِ الحَشرِ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۞ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ .

إلّا أَنَّ اليَهودَ لم يَفيقوا من غَيِّهم، ولم يتَّعِظوا بما حَلَّ بهم نَتيجةَ غَدرِهم وتآمرِهم؛ فقد خَرَجَ عُشرون مِن أكابِرِ مُجرِمي يَهود حادِيهم[1] حُيَيُّ بن أَخْطَب إلى مَكَّةَ لتَأليبِ قُرَيشٍ عَدُوِّ الإسلامِ الأَشَدِّ.

---

(١) قائدهم الذي يسوقهم.



جولات مكوكية ويمين فاجرة

في مَكَّةَ أَخَذَ اليَهودِيُّ حُيَيُّ بنُ أَخطَب يُشَجِّعُ قُرَيشاً وَيُمَنّيها[1] الأمانِيَ[2] الكبارَ، وَوَعَدَهم مِن أَنفُسِهم بالنَّصرِ لَهم، وَأَن جموعَ يَهودٍ وأحزابَ العَرَبِ سيكونون مَعْهم في غَزْوِ المُسلمين حَتى يَستَأصِلوهم... وإِمعاناً في الكَذِبِ والمَكرِ فَقد شَهِدَ أحبارُ يَهودٍ لأصنام قريشٍ بأنَّها آلهة حقاً، وَأنَّ دينَ عَبَدَةِ الأوثانِ أَفضَلُ من دين الرَّحمٰنِ، وَأعرافَ الجاهِليةِ خيرٌ مِن تعاليم القُرآن... ولذلك سَجَّل القرآن هذه اليَمينَ اليَهودِيَة الفاجِرةَ لتبقى سُبَّةً في جَبين يَهود: ﴿ أَلَمْ تَرَ

(١) جعلها تتمنى.

(٢) جمع أمنية، وهي: البغية.

إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ .

اهتَزت قُرَيشٌ بما سَمِعت طَرَباً . . . فهذه شَهادَةٌ تَصْدُرُ عَن أَهْلِ الكِتاب وَمِن زَعيمٍ من زُعَماء يَهود، فَسَرت في عُروقِ الجاهليين حَمِيَةَ الجاهلية، وزاد إصرارُهم على العُدوانِ . . . وَظَنّوا أن ساعَةَ الخَلاصِ من الإِسلامِ والمُسلمينِ قد دَنَت[1]، فَتَنادوا مُسرعين أن اغدوا على حربِ مُحَمَّدٍ ﷺ إن كنتم صارمين . . . لكن زَعيمَ يَهود قال

(١) اقتربت.

لهم: على رِسْلِكُم[1]، فالطَّريقُ أمامَنا لم يَزَلْ في بِدايَتِهِ... سأجْعَلُ العَرَبَ كُلَّها تَرمي مُحَمّدا والذين مَعه عن قَوْسٍ واحِدَةٍ... لِتكون القاضِيَةُ التي لاحياةَ بَعْدَها أَبَداً.

تَرَكَ زُعَماءُ يَهود مَكَّةَ وَراحوا يَتَجوَّلون في الصَّحراءِ لَجَمْعِ قَبائِلِ العَرَبِ على خِطَّتِهم، فَوصلوا إلى أعرابِ غطفان وَحَلّوا[2] ضيوفاً على زَعيمِهم عُيَيْنَة بن حِصْن، وبدأ حُيَيٌّ يُحَرِضُه على حَربِ الإسلامِ والانضمامِ إلى مُعَسكَرِ الأحزابِ، فاستجاب له... ثم طافوا في قبائِل

(١) لا تعجلوا.

(٢) نزلوا.

العرب، فوصَل إلى قبائل كِنانة واجتمع بزعيمِها الحارث بن عوف، واستطاع أن يَعْقُد مَعه حِلْفاً كما صَنع مع أبي سُفيان وعُيينة، وهكذا نَجح مَكْرُ اليَهودُ وَخُبْثُهم في تأليبِ الأحزابِ ضِدّ رَسولِ اللّهﷺ وَدَعَوتِه.

في الطريق إلى المدينة

رَأيتُ التَّحَفُّز[1] في عُيون الأبناء...

فَبادَرني أسامَةُ فقال: كانوا يُريدون القَضاءَ على الإِسلام، وأن يُطْفِئوا نُورَ الله.

وقال أَنَسُ مُتَسائلاً: هَل نَجَحَت جُهودُ يَهود؟ وَهَل تَحَقَقَتْ آمالُهم؟

قلت: صَبْراً يا أبنائي؛ فَسَيأتِيكُم

(١) التَّهيُّؤ للانتصاب في غير اطمئنان.

بالأخبارِ مَن لَم تُزَود... لقد خَرَجت قُريشٌ من الجَنوبِ مع حُلفائِها مِن كَنانَة وأَهل تُهامة، يقودُهم أبو سفيان في أَرْبَعَةِ آلاف... وَوافَقَتْهم بَنو سليم بمَرِّ الظّهرانِ... وَخَرجت من الشَّرقِ قَبائلُ غَطَفان يَقودُهم عُيَينَةُ بنُ حِصْن... كما خَرَجت بَنو أَسَد، وَأَجْمَع، وَبَنو مُرَّة... وَتَحَرَّكوا نحو المَدينة على ميعادِ كانوا تَعاقَدوا عَليه... فكانَ مَن وافى[1] المدينَةَ مِن الكُفّارِ عَشرة آلاف مُقاتِل.

مجلس استشاري وخطة حربية

قال مالك: وهل بَاغَتَت[2] الأحزابُ

---

(١) أتاها ووصل إليها.

(٢) فاجأت.

المُحَزَّبَةُ والجُنودُ المُجَنَّدَةُ أَسوارَ المَدينَة بَغْتَـةً لكـانـت أَعظَـمَ خَطَـرٍ علـى الـدَّولَـةِ الإسلامِيَة. . . وَرُبَّما أبادَت خَضراءَهم[1] واستأصَلَت شَأْفَتَهم.

قلت: لقد سَمع رسولُ اللّه ﷺ بِمَسيرِ الأحزابِ إلَيه، فاستشار أصحابَه؛ فأشارَ عَليه سَلمانُ الفارِسي بِخُطّةٍ فَريدَةٍ لم تَسْمَعْ العرب من قبل بمثلها، فبادر المسلمون إلى حَفرِ خَنْدَقٍ عَميقٍ أَمامَ سَلَع[2]، فَحالَ بَيْنَهم وَبَينَ الكُفّارِ.

همم الرجال تزيل الجبال

قـام المسلمـون بحفـر الخَنْـدَق بِجِـدٍّ

(١) أصلهم الذي منه تفرعوا.

(٢) اسم جبل في المدينة.

وَنَشَاطٍ، فَقَد أَمرَ رَسولُ اللّهِ ﷺ كُلَّ عَشْرة رجالٍ أن يَحفِروا من الخَنْدَق أربعين ذِراعاً... وأَخذَ رسولُ اللّهِ ﷺ يَحُثُّهم وَيُساهِمُ في عَمَلِهم هذا... فكانوا ينقلون التُّرابَ على أكتادِهم[1] وَرَسولُ اللّهِ ﷺ يقول:

اللهمَّ لا عيشَ إلا عيش الآخِرَةِ

فاغفر للأنصارِ والمُهاجِرَةِ

فقال المسلمون مجيبين رسولَ اللّهِ ﷺ:

نحنُ الذين بايعوا مُحَمَّداً

عَلى الجِهادِ ما بَقينا أَبَداً

---

(١) جمع كتد، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

ونقل رسولُ الله ﷺ التَّرابَ حتى اغَبَّرت بَطْنُه، وهو يرتجزُ بكلماتٍ لعبدِ الله ابن رَواحة:

واللّه لولا اللّهُ ما اهتَدينا

ولا تَصَدَّقنا ولا صَلَّينا

فانزلَنْ سكينَةً علينا

وَثَبِّت الأقدَامَ إن لاقَينا

إن الأُلى بَغَوا علينا

إذا أَرادوا فِتْنَةً أَبَيْنا

دلائل النبوة

وكان في حَفْرِ الخَنْدَقِ من آياتِ نُبُوَتِه ما جعل المسلمون يَعْمَلون بِنَشاطٍ رَغَم شِدّةِ

الجُوعِ.

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: إنّا كُنّا يومَ الخَنْدَق نَحْفِرُ، فَعَرَضت كُدْيَةٌ[1] شَديدَةٌ، فجاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ عَرَضَت في الخَنْدَق، فقال: «أنا نازِلٌ»، ثم قامَ، وبَطْنَه مَعصوبُ بِحَجَرٍ، وَلبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا[2]، فَأَخَذَ النَبيُّ ﷺ المِعْوَل، فَضَرب، فَعاد كَثيباً أَهْيَل[3].

فَقُلت: يا رسول اللّه ائذن لي إلى البَيْتِ، فقلت لامرأتي: رأيتُ بالنَّبِيِّ ﷺ ما

---

(١) قطعة صلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس.

(٢) لا نطعم طعاماً.

(٣) صار تراباً ناعماً.

في ذلك صَبْر فَعْندَك شَيءٌ؟

فقالت: عِندي شَعيرٌ وعَناقٌ؛[1] فذبحت العَناقَ وَطَحنْتُ الشْعيرَ حتى جَعلنا اللَّحم في البُرْمة[2]، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبُرمة بين الأثافي[3] قد كادت تنضج، فقلت: طُعَيِّمٌ[4] لي، فقم أنت يا رسول الله وَرَجُل وَرَجُلان.

قال: كَم هُو؟

فَذَكرْتُ لَه، فَقال: «كَثيرٌ طَيِّبٌ، قُلْ لَها لا تَنْزِع البُرمَةَ، ولا الخَبْزَ مِن

(١) الأنثى من المعز.
(٢) القِدْرُ من الحجارة.
(٣) الأحجار التي يكون عليها القدر.
(٤) تصغير طعام.

التَّنُّور[1] حتى آتي»

فقال: «قوموا».

فقام المُهاجرون والأنصارُ، فَدَخَلْتُ عليها فقالت: وَيْحَك جاءَ النَّبيُّ ﷺ والمهاجرون والأنصارُ وَمَن مَعَهم.

قالت: هَل سألك؟

قلت: نعم.

فقالت: اللّهُ ورسولُه أَعلَمُ، نحنُ قد أعلمنا بما عندنا.

قال رسولُ الله ﷺ: «ادخلوا ولا تَضاغَطوا»، فجعل يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ

(١) الفرن يخبز فيه.

عليه اللَّحمَ، ويخمر[1] البُرمَةَ والتنورَّ إذا أَخَذ مِنه، وَيُقَرِّبُ إِلى أصحابِهِ ثم يَنْزِعُ، فلم يَزَلْ يَكْسِرُ حتى شَبِعوا، وَبَقي مِنه، فقال: «كُلي هذا وأهْدي، فإن النَّاسَ أصابَتهم مَجَاعَةٌ»

وقال البراءُ بنُ عازب رضي الله عنه: لَمّا كان يَومُ الخَنْدَقِ عَرَضَت لنا في بعض الخَنْدَقِ صخرةٌ لا تأخُذُ منها المعاولُ؛ فاشتكينا ذلك لرسولِ اللّهِ ﷺ، فجاءَ وأخذَ المِعْولَ فقال: «بسم الله» ثُمَّ ضربَ ضربَتَه، وقال: «اللهُ أكبرُ، أُعطيتُ مفاتيحَ الشَّام، واللهِ إنِّي لأنظرُ قصورَها الحُمرَ الساعةَ»، ثُمَّ ضربَ الثانيةَ فقطعَ آخر، فقال: «اللهُ أكبرُ

(١) يغطيها.

أعطيتُ فارسَ، واللهِ إنِّي لأبصرُ المدائنَ الأبيضَ الآن»، ثُمَّ ضربَ الثالثة فقال: «بسم الله فقطع بقية الحجر، فقال: اللهُ أكبرُ أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن، والله إني لأبصرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني».

وانسابَت الأحزابُ حولَ المَدينَةِ فَثَبَت المؤمنون لَيقينهم أنَّ النَّصْرَ من عند الله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾.

أما المنافقون المُرتابون فَقد تَنَدَّروا[1] بأَحاديث الفَتْح التي يُبَشِّرُ بها رسولُ اللّهِ ﷺ

(١) تضاحكوا.

وَتزَعْزَعت قلوبُهم، وبدأوا يُثبِّطون في المؤمنين قائلين: يُخبركم مَحَمَّدٌ أنه يُبصِرُ من يَثربَ قصورَ الحيرةِ ومدائنَ كسرى، وأنتم تحفرون الخندق لا يستطيع أحدكم أن يذهب للخلاءِ حتى يقضي حاجَته...

فأنزل اللهُ فيهم قرآناً: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

حول الخندق

خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في ثلاثةِ آلافِ من المسلمين، فَجَعلوا ظهورَهم إلى جَبَلِ سَلَع فَتَحَصَّنوا به، والخَنْدَق بينهم وبين

الكُفّار، وَأمَرَ بالنِّساء والصبيانِ فَجُعلوا في آطامِ[1] المَدينَةِ.

وبدأت جيوشُ الأحزابِ مُهاجَمَةَ المُسْلمين واقتِحامَ المَدينَةِ، ولكنَّهم فوجِئوا بخَنَدقٍ عَريضٍ يحولُ بينهم وبينها، فقالوا: هذه مَكيدةٌ ما عَرَفَتْها العَرَبُ.

فَرَضَ المشركونَ حصاراً على المسلمين، وَأَخذوا يَدورنَ حَولَ الخَنْدَقِ غِضاباً يِتَحَسَّسون مَمَرّاً لِيَمروا منه.

وكان المُسلمون يُراقبون تَحَرُّكات المُشركين، وَيرشُقونَهم بالنِّبالِ حتى لا يَقْتَرِبوا من الخَنْدَق، فَفَشِل المُشركون في

(١) جمع أُطم وهو: الحِصْن.

كُلِّ مُحاولاتِهِم.

قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

وحَال الخَنْدَقُ بين التحامِ الجَيْشَيْنِ فاقتصرت الحَرْبُ على المُراماةِ والمُنَاضَلَةِ... وفيها رُميَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ بِسَهمٍ؛ فَقَطَع مِنه الأَكْحَل[1].

خطوات المكر اليهودي

وبينما كان المسلمون يواجهون هذه الشَّدائِدَ العَصِيبَةَ، كانت أَفاعي المَكْرِ

(١) وريد في وسط الذراع.

اليَهـودِيِّ تُحْكِـمُ حِصـارَهـا للمَـدينـة، فَقـد جاءَت الأخبارُ أَن يَهودَ بني قُريظَة نَقَضوا عَهْدَهم مع رَسولِ اللّه ﷺ وانضَمّوا إلى الأحزابِ التي تُحيطُ بالمدينَة النَّبوِيَّة.

فَقد انطلَقَ حُيَيُّ بنُ أَخَطْب زَعيمُ بني النَّضيرِ إلى دِيارِ بَني قُرَيظة، فَدَنا مِن حِصْنِهم، فَأتى كَعْبَ بنَ أَسَدٍ القُرَظِي سَيِّدَ بَني قريظة الذي كانَ قد عاهَد رسولَ اللّه ﷺ على أن يَنْصُرَه، وَعِند قُدومِ الأحزابِ أَغلقَ كَعْبُ بنُ أسَد بابَه، وَمَنَع حُصونَه، وَقَـرَّرَ أن يـوفـي بـالعَهْـدِ الـذي بَيْنَـه وَبَيْـنَ المسلمين، إلا أن حُيَيَّ بنَ أَخَطب قَرَعَ عَليه بابَه فأغلَقَه كَعْبٌ دونه، ولكنَّ حُييَّ لَزِمَ البابَ وَهو يُصِرُّ، حتى فَتَح لَه بابَه وَبَدأ

يُغري كَعباً قائلاً له: قد جئتُك بِعزِّ الدَّهرِ وبِبَحرٍ طام[1]؛ جِئْتُك بِقُرَيشٍ وسادَتِها وقبائِلِ العَرَبِ وَزُعمائِها وَقد عاهدَوني على استئصالِ مُحَمّدٍ وَمَن مَعَه، فَتَمنَّع كَعْبٌ... ولكن حُيَيّاً مازال به حتى نَقَضَ العَهْدَ الذي بينه وَبينَ رَسولِ اللّه ﷺ... فَسُرَّ بذلك المُشركون، وَشَرطَ كَعْبٌ على حُيَيٍّ أنه إن لم يَظْفَروا بِمُحمَّدٍ أن يجيءَ حتى يَدخُلَ معه حِصْنَه، فيصيبَه ما أصابَه.

وَبَلَغَ رسولَ اللّهِ ﷺ خَبَرُ قُرَيَظة وَنَقْضُهم للعهَدِ، فبعثَ إليهم بعضَ أصحابِه فيهم سعد بن معاذ... فلَمّا دنوا من حُصونِ بني قريظة وجدَهُم على أخبثِ ما

---

(١) عظيم.

يكون، وجاهروا بالسَّبِ والعدوانِ، ونالوا من رسولِ اللّهِ ﷺ. . . وحاول سعدُ بنُ معاذ أن يُذكِّرَهم بعهدِهم فأعرَضوا. . . ولما خَوَّفَهم بمصير بني النَّضيرِ من قبلِهم شَتَموه.

قال أسامة: بذلك يظهَرُ أن حِرْصَ بني قريظة على التزامِ العَهدِ كان خَوْفاً مِنَ المُسْلمين، فلما أَمِنوا وأَيقَنوا أن الأحزابَ تُحيطُ بالمَدينَةِ. . . نَقَضوا عهدَهم وانضَموا إلى المُشركين.

قلت: هذه هي حقيقةُ اليَهود.

قال أنس: وماذا صَنَع رسولُ اللّهِ ﷺ والمسلمون؟

قلت: عَظَمَ ذلك على المسلمين...
ولكن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين»

قال مالك: كأنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ يُعَمِّقُ في نفوس المسلمين حقائقَ الإيمانِ وأنَّ الظَّلامَ كلَّما اشتدَ اقترب ميلادُ الفجرِ... فَبَعد العُسْرِ يُسْرٌ... والنَّصْرُ مَع الصَّبْرِ.

قلت: الأمرُ كما قلتَ، والحالُ كما وصفتَ.

قالت هند: وكيف استقبل المنافقون الخَبَرَ؟

قلت: اشتدَّ البلاءُ، وظهرَ المنافقون، وبدأوا يستأذنون رسولَ اللّهِ في الرُّجوعِ إلى

المَدينَةِ بِدعوى أَنَّهم يُريدون حَمايَةَ بُيوتِهم... وَهُم في الحَقيقَةِ يريدون الهُروبَ... فأنزل اللّهُ فيهمْ قولَه: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾.

مجلس استشاري

وَلَمّا طالَت هذه الحالُ على المُسلمين أَخَذَ رسولُ اللّهِ ﷺ يُخَطِطُ لِمُجابَهَةِ الظَّرفِ الرّاهِنِ، فَأَراد أَن يُصالِحَ سادَةَ بَني غَطفان على ثُلُثِ ثِمار المَدينة حتى يَعودا بِقَومِهِما وَيَخلو المُسلمون لإلحاق الهَزيمَةِ العاجِلَةِ بِقُريش التي اختَبَروا قَوَّتَها مِراراً... واستشارَ رسولُ اللّهِ ﷺ السَّعَدين ـ سعد بن

عبادة، وسعد بن معاذ ـ في ذلك.

فقالا: يا رسولَ اللّهِ إن كان اللّهُ أمَرَكَ بهذا فَسَمْعاً وَطاعَةً، وإن كان شَيئاً تَصْنَعُه لَنا، فلا حاجَةَ لَنا فيه، لَقد كنَّا نَحن وهؤلاء القوم على الشِّرِكِ باللّهِ وعبادَةِ الأَوثانِ، وهم لا يَطْمَعونَ أن يأكُلُوا منها ثمرةً إلا قِرى[1] أو بَيْعاً، فحين أكرَمَنا اللهُ بالإسلامِ، وَهدانا لَه، وأعزَّنا بِك نُعطِيهم أموالَنا؟ والله لا نُعطِيهم إلاَّ السَّيفَ.

فصَوَّبَ رسولُ اللّه ﷺ رأيَهُما، وبَيَّنَ لهما أنَّهُ فعلَ ذلك؛ لأنَّ العربَ اجتمعت على حربِهم مَرّةً واحِدَةً.

---

(١) طعام الضيف.

وَتوافدَ المُسْلِمونَ على رَسولِ اللّه يَسألونه عَن شيءٍ يقولونه: فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «اللّهمَّ استرْ عَوراتِنا وآمنْ روعاتِنا».

وأخذَ رسولُ الله ﷺ بدعاءِ ربِّه: «اللهمَّ مُنزِلَ الكتابِ اهزمْ الأحزابَ، اللهمَّ اهزمهُمْ وانصُرْنا عليهِم».

ولا يعلم جنود ربك إلا هو

ثم إن اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَلَه الحَمْدُ ـ صنعَ أمراً من عِندِه، فَنَصرَ عبدَهُ، وأعزَّ جُنـدَهُ، وهـزمَ الأحـزابَ وحـدَهُ... فقـد ضاقت جموعُ الأحزابِ ذَرْعاً لِهذا المُقام الطّويلِ... فهاهم يُحاصرونَ المَدينةَ أياماً لا تُؤذِنُ بِدايَتُها بانتهاءٍ... وها هي أقواتُهم استنفدوها أمامَ خندقٍ صعب الاجتياز...

فذَبَّ الوَهَنُ في قُلوبِهم.

ثُمَّ إنَّ الجَوَّ تَغَيَّرت أرجاؤُه وتَلَبَّدَت سماؤه، وأرسلَ اللهُ جُنداً من الريحِ تُقَوِّضُ خيامَ المُشركينَ، وكفَأت قدورَهم، ولم تَدَع طُنُباً[1] إلا قَلَعَتْهُ، وَلا يقرُّ لَهم قَرارٌ.

وأنزلَ جُنداً من المَلائِكَةِ يُزلزِلونَهم، ويُلقون في قُلوبِهم الرَّعْبَ والخَوْف... وتلَّفَتَ أبو سفيان يَمنةً ويَسرةً يَتَطَلَّبُ عَوْناً على ما يرى، فَلَم يَر مأمَناً فتَهَيأ للرَّحيلِ.

طليعة رسول الله

وفي هذا الجوِّ البارِدِ القارِسِ[2] أرسلَ

(١) حبلٌ يُشَدُّ به الخِباءُ.

(٢) شديد البرودة.

رسولُ الله ﷺ حذيفَةَ بن اليمان يستطلعُ خبرَ المُشْركين.

قالَ حذيفةُ: رأيتُنا ليلةَ الأحزابِ ونحنُ صافّون قُعود، وأبو سفيان ومن معه فوقَنا، وبنو قُريظة أسفلَ منَّا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلةٌ قطُّ أشدَّ ظُلمةً ولا أشدَّ ريحاً منها، تَطنُّ[1] في رياحِها أصواتٌ أمثالَ الصَّواعقِ، وما يستطيعُ أحدُنا أن يرى إصَبَعَه من قَتَامِها[2] السْائِدِ، ولم يكن عليَّ حُلَّةٌ[3] من العَدُوِّ ولا مِن البَرْدِ إلا

(١) تُصَوِّتُ وَترِنُّ.
(٢) الغُبارُ الأَسودُ.
(٣) الثَوبُ.

مِرْطٌ[1] لامرأتي لا يجاوزُ رُكبَتي، فأتاني رسولُ اللّهِ ﷺ وأنا جاثٍ[2] على الأَرْضِ.

فقال: «من هذا»؟

فقلت: حذيفة.

فقال: «حذيفة»؟

فَتَقاصَرت في مَوْضعي وَأَنا أقول: بَلى يا رسول الله ـ كَراهِيَة أَن أَقُومَ ـ فَنَدَّبَني[3] لِما يُريدُ، وقال: «إنَّه كائنٌ في القومِ خبرٌ فأتني به».

فَخَرجتُ وأنا أشدُّ الناسِ فَزَعاً

---

(1) كساءٌ من خَزٍّ أو صُوفٍ يُؤْتَزَرُ به، وَتَتَقَلَّعُ به المرأةُ.

(2) جالسٌ على رُكبَتَيَّ.

(3) بعثني ووجهني.

وَأَشَدُّهم قَرّاً[1]، فَدَعا لي بِخَيرٍ، فمضيتُ لِشأني كأنَّما أمشي في حَمّامٍ[2]، وأوصاني رسولُ الله ﷺ ألا أُحدِثَ في القَوم حَدَثاً حتى آتيه، فلمَّا دَنوتُ من مُعَسكرِ القوم نظرتُ ضوءَ نارٍ تُوقدُ، وإذا رجلٌ أدهم[3] ضخم يمدُّ يديه إلى النَّارِ مستدفئاً ويمسح خاصِرَتَه، ويقول: الرَّحيل.

ولم أكنْ أعرفُ أبا سفيان قبل ذلك، فوضعتُ سهماً في كَبدِ قوسي، وأردتُ أن أرميه، ثُمَّ ذكرتُ وَصاةَ رسولِ الله ﷺ فأمسكت، وَلو رَمَيْتُه لأَصَبْتُه.

---

(١) بُرودةً.

(٢) ما يُغتَسَل فيه.

(٣) سَحْنَته سوداء.

وَأَحسستُ عصفَ الريحِ في المُعَسكرِ

لا تُقِرُّ قِدْراً ولا ناراً ولا بِناءً.

ثُمَّ قال أبو سفيان: يا معشرَ قريش، إنَّكم والله ما أصبحتم بدارِ مُقامٍ، قد هلكَ الكُراعُ[1] والخفُّ،[2] وأخلَفَتنا بنو قريظة وبَلَغَنا عنهم الذي نَكْره، وَلَقينا من شدةِ الريح ما تَرون؛ ما تطمئنُ لنا قِدْرٌ، ولا تقومُ لَنا نارٌ، ولا يستمسكُ لنا بِناءٌ، فارتحلوا فإنِّي مُرْتَحلٌ.

ثُمَّ قامَ إلى رَحْلِهِ[3] وهو مَعْقولٌ،

---

(١) من الإنسان ما دون الركبة إلى الكعب، ومن البقر والغنم مستدمة الساق العاري من اللحم.

(٢) للبعير كالحافر للفرس.

(٣) بَعيرُه المُهيأ للركوب.

فجلس عليه، ثُمَّ ضربَهُ فوثَبَ به على ثلاث، فوالله ما أطلق عِقالَه[1] إلا وهو قائِمٌ.

ورجعَ حذيفةُ إلى رسولِ الله بِخَبَرِ القَومِ وأنَّهم عَزَموا على الرَّحيلِ... وتنفَّسَ الصُّبحُ فإذا جوانب المدينةِ خَلاءٌ... فقد ارتحلت الأحزابُ بِغَيظِهم لم ينالوا شَيئاً، وكفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ، وانفكَّ الحصارُ... فَصَدق اللّهُ وَعْدَه، وأعزَّ جُنْدَه، ونصرَ عَبْدَه، وهزمَ الأحزابَ وَحدَه... فقال رسولُ الله ﷺ: «الآن نَغزُوهم ولا يغزوننا».

(١) الحبل الذي يُعقل به البعير.



من فقه غزوة الخندق

قال أنس: لقد كثرت في هذه الغزوة العبر.

قلت: اذكر لإخوانكَ طَرَفاً منها.

قال: حُبّاً وكرامة، فمن ذلك:

● لقد كَشَفت هذه الغَزْوَةُ في جميع مَراحِلها عن طَبائِعِ اليَهود، وأنَّهم أَهْلُ غَدْرٍ وَخِيانَةٍ إذا ظهروا على المسلمين لا يَرقُبونَ فيهم إلَّاً(١) ولا ذِمَّة، فيَهود بني قريظة نَقَضوا عَهْدَهم، ومن قبل يهود بني النّضير ألّبوا قبائلَ العَربِ على غَزْوِ المَدينَةِ النَّبَوِيةِ،

(١) عهداً.

وطعنوا في الإسلام.

● الشَّدائِدُ والمِحَنُ تَزيدُ أهلَ الإيمانِ إيماناً، وتكشِفُ أهلَ النِّفاقِ والمُرتابين.

● حسنُ التَّوكُّلِ على الله بعد أَخْذِ الأسبابِ أَهَمُّ أسبابِ النَّصر، فقد حَفَرَ المسلمون الخَنْدَق ثم تَضَرَّعوا إلى اللّهِ بالدُّعاءِ.

● كانت غزوةُ الأحزابِ أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، فقد أسفرت عن تَخاذِلِ المشركين، وأظهرت التَّصدُّعَ في صُفوفِهم؛ فليس بينهم رَوابط قَوِيَةٌ تَجْمَعُهم، وَأَفادت أن أيَّة قُوَّةٍ للمشركين لا تَستطيعُ استئصالَ القُوَّةِ النَّامِيَةِ في رُبوع المَدينَةِ النَّبوِيَةِ، لأنَّ العربَ لم تكن تستطيعُ

أن تَأتِيَ بقوةٍ أقوى ممّا أتت به الأحزابُ مجتمعةً.

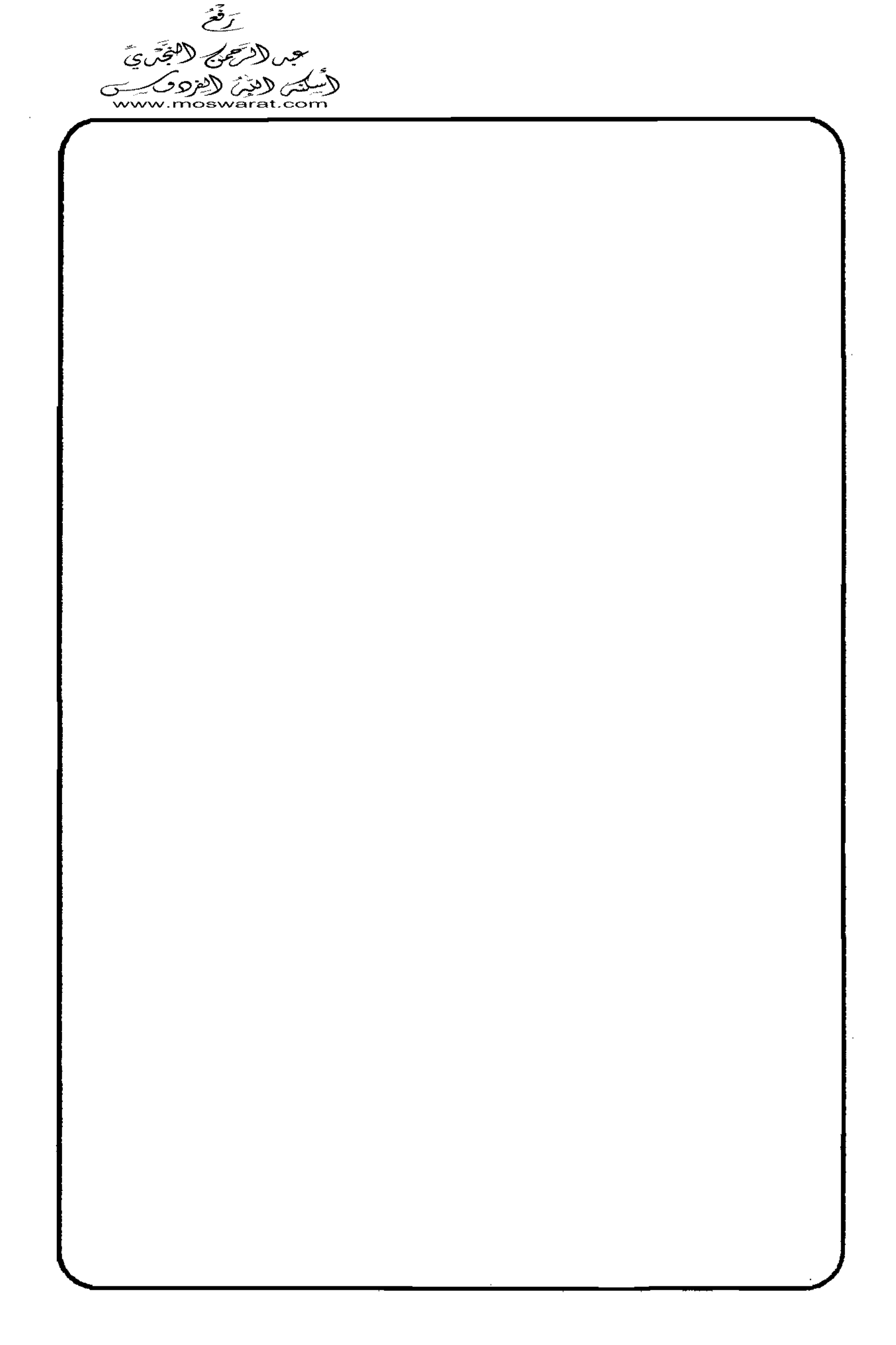
ولذلك قال رسولُ الله حينَ هَزمَ اللهُ الأحزاب: «الآنَ نغزوهُم ولا يغزوننا؛ نحن نَسيرُ إليهم»، فكان الأَمرُ كما قال رسولُ الله ﷺ، فلم تَقُم للمشركين بعدها قائِمَةٌ؛ بل صارَ أمرُهم إلى اضمحلالٍ حتى انتهى بِفَتحِ مَكَةَ.

قال مالك: وماذا صنعَ رسولُ الله ﷺ مع يهود بني قريظة الذين خَانوا العَهْدَ وَنقضوا المِيثاقَ ولم يُحسِنوا الجوار؟!

قلت: موعدُنا المجلسُ القادِمُ إن شاء الله لتعلَمَ الجَوابَ، وانصرفَ الجَميعُ إلى

مَضاجِعهم مرددين دعاء كفارة المجلس على أمل اللّقاء بإذن اللّهِ.

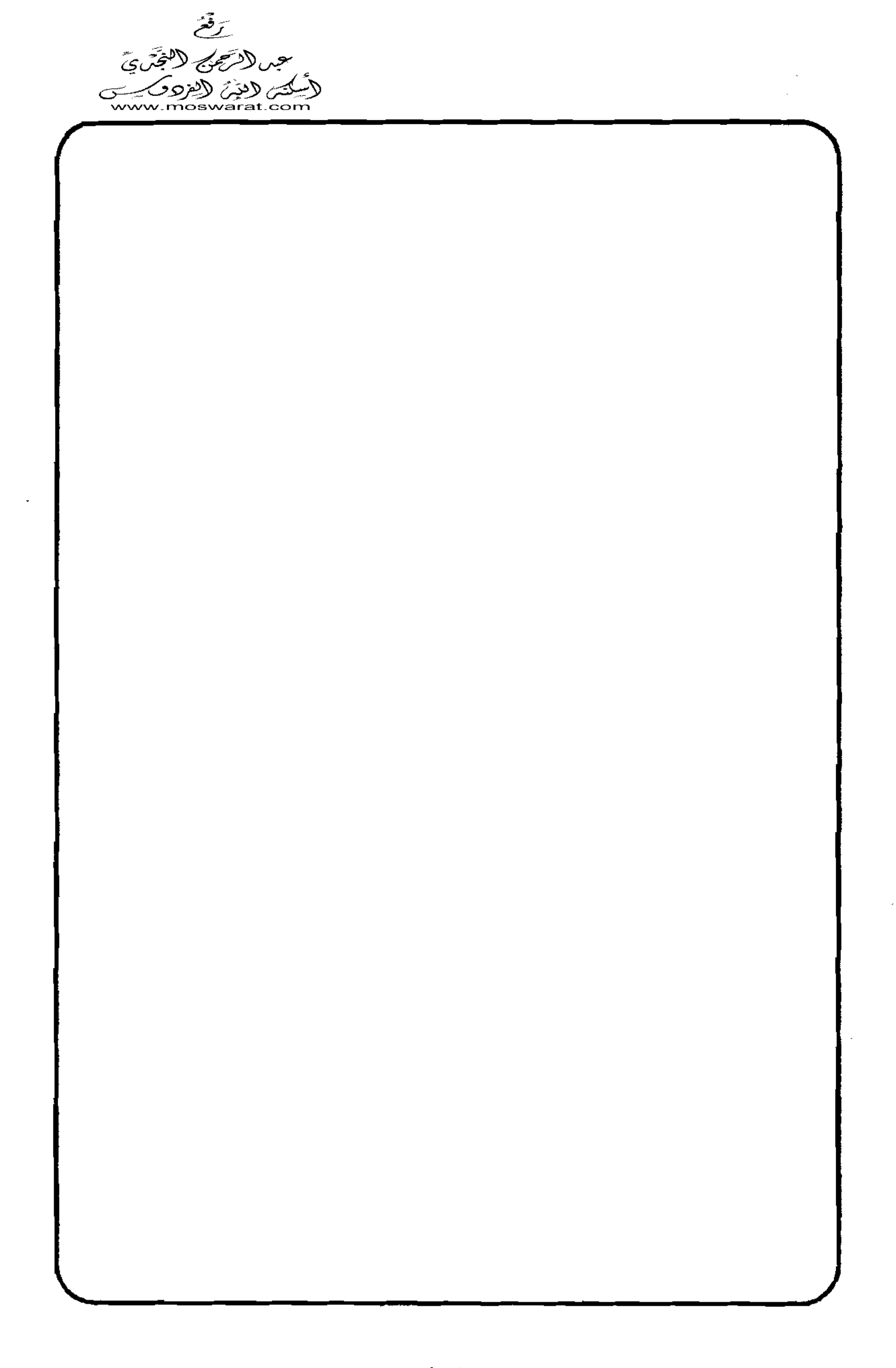
* * *



معلومات

تمارين

أنشطة



* أضع دائرة حول رمز الجواب الصحيح:

١ ـ من زعماء اليهود خرج لتأليب القبائل المشركة حتى تغزو المدينة:

أ ـ كعب بن الأشرف.

ب ـ حيي بن أخطب.

ج ـ عبدالله بن سلول.

٢ ـ اجتمع من المشركين حول المدينة:

أ ـ خمسة آلاف مقاتل.

ب ـ سبعة آلاف مقاتل.

ج ـ عشرة آلاف مقاتل.

٣ ـ اقترح على رسول الله ﷺ حفر الخندق:

أ ـ نعيم بن مسعود.

ب ـ حذيفة بن اليمان.

ج ـ سلمان الفارسي.

٤ ـ رماه المشركون بسهم فأصيب في أكحله:

أ ـ سعد بن معاذ.

ب ـ سعد بن أي وقاص.

ج ـ سعد بن عبادة.

* علل ما يلي (إذكر السبب):

١ ـ أقسم زعماء اليهود لكفار

مكة أن أصنامهم خير من دين محمد . . .

٢ ـ تفاجأ المشركون بالخندق حول المدينة . . . .

* قارن بين موقف المؤمنين وموقف المنافقين في غزوة الخندق؟

المؤمنون	المنافقون
. . . .	. . . .
. . . .	. . . .
. . . .	. . . .
. . . .	. . . .

* من دلائل النبوة التي ظهرت في غزوة الخندق:

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

* أذكر مناسبة الأحاديث التالية؟

١ ـ «ادخلوا ولا تضاغطوا» . . . .

. . . .

٢ ـ «الله أكبر أعطيت مفاتح الشام» . . . . .

. . . .

٣ ـ «ملأ الله عليهم بيوتهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطى» . . . .

. . . .

٤ ـ «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم» . . . .

. . . .

❊ كشفت غزوة الأحزاب في جميع مراحلها عن غدر وخيانة اليهود، اذكر ثلاث مواقف تدل على ذلك؟

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

❊ ❊ ❊


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com